وابن حبان وعبد بن حميد والضيا المقدسي والطبراني والترمذي في كتابه كتاب المناقب وقال حديث حسن صحيح قاله وهو بالحزورة ومحلها مشهور باسفل مكة
عند منارة المسجد التي بباب اجياد وكان عندها سوق الحناطين ورواية الطبراني انه اشار في مكة فتصحيف وانما صوابه سوق مكة كما صرحت به رواية احمد وقيل
انما بفناء دار الخيزران وقيل غير ذلك ثم قوله صلى الله عليه وسلم ذلك حين خرج من مكة في عمرة القضية لانه اراد الاقامة بالبنا بزوجته ميمونة رضي الله عنها
فابت عليه قريش ذلك والقول بانه صلى الله عليه وسلم قاله حين خرج للهجرة مردود بقول الراوي على راحلته وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن على راحلة وانما خرج مستخفيا كما
دلت عليه الاخبار وفي رواية من انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عام الفتح على الحجون ولا ينافي لاحتمال انه قال ذلك على الحجون مرة اخرى وكذا يقال في رواية انه قال ذلك على
الصفا لكنها غريبة مطعون فيها ومما سبق ان الله ينزل على اهل هذا المسجد مسجد مكة في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة الحديث ومنها احاديث المضاعفة
الناصة على ان الصلاة في مسجد مكة بمائة الف الف صلاة كما يأتي واورد الحسن البصري في رسالته في فضايل مكة جملة احاديث وذكر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام
في قواعده في تفضيل مكة على المدينة اثني عشر وجها وقيل المدينة افضل وهو المشهور عن الامام مالك وقد روي عنه ما يدل على ان مكة افضل حكاه ابن عبد البر قال ولكن
المشهور عن اصحابه في مذهبه تفضيل المدينة انتهى واستدل بعض المالكية لذلك بما اخرجه الحاكم في مستدركه اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من احب البلاد الي
فاسكني احب البلاد اليك ورد بانه موضوع اجماعا كما قاله ابن عبد البر وابن دحية قال ابن عبد السلام وان صح فهو من المجاز الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو من مطلب
مجاز وصف المكان بصفة ما يقع فيه ولا يقوم به قيام العرض بالجوهر كقوله بلدة طيبة وصفها بالطيب الذي هو صفة لهوايها وكذلك الارض المقدسة
وصفت بالقدس الذي هو صفة لمن حل بها من الانبيا والاوليا المقدسين من الذنوب والخطايا وكذلك الوادي المقدس وصف بتقديس موسى عليه السلام وقدس
الملائكة الذين صلوا فيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم احب البقاع الى الله مساجدها وابغض البقاع الى الله تعالى اسواقها اراد محبة المساجد ما يقع فيها من ذكره
وتلاوة كتابه والاعتكاف والصلاة واراد ببغض الاسواق بغض ما يقع فيها من الغش والخيانة وسوء المعاملات مع كون اهلها لا يامرون بمعروف ولا
ينهون عن منكر وكذلك قولهم بلد خايف وامن وصف بصفة من حل فيه من الخايفين والامنين وكذلك وصفه بكونه محبوبا هو وصف بما حصل فيه مما يحبه
الله ورسوله وهو اقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم به وارشاده اهله الى ما بعث به وكان متعينا واجبا عليه ومعلوم ان ما كان احب الى الله تعالى كان احب الى
رسوله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما هاجر الى المدينة كانت اقامته بها وارشاد اهلها احب الى الله تعالى واليه صلى الله عليه وسلم من اقامته بغيرها ومعلوم ان الطاعة
التي هي احب الى الله من غيرها احب الى رسوله من جميع الطاعات ولا يلزم من قوله احب البقاع اليك ان لا تكون احب البقاع الى رسوله كما لا يلزم من قوله احب
البقاع الي ان لا يكون احب البقاع اليه فالتعبير بالاحب في البلدين دال على ان كل واحد من البلدين احب الى الله تعالى والى رسوله ويجوز ان يوصف كل واحد من
البلدين بحسب ما وقع فيه من ابلاغ الرسالة والامر بالطاعة والنهي عن المعاصي وكل ذلك احب الى الله ورسوله مما سواه من النوافل ٢ثم هذا ان يكون المعنى واحسن و
اخرجوني من احب البقاع الي في امر معاشي فاسكني احب البقاع اليك في امر معادي وهذا التوجيه ظاهر فانه لم يزل في زيادة من دينه وتبليغ امره الى ان
تكامل

تكامل الوحي وبشره باكمال دينه واتمام النعمة بقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ومما يدل على ان الاماكن
والازمان يوصفان بصفة ما يقع فيهما قوله تعالى رب اجعل هذا البلد امنا وقوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا فوصفهما بصفة اهلهما وكذلك
قوله انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وصفها بالتحريم الواقع فيها وهو تحريم صيدها وعضد شجرها واختلا خلاها وتحريم التقاط لقطتها
الا لمنشد وكذلك وصف الله تعالى الاشهر الحرم بالتحريم في قوله منها اربعة حرم وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام وقالت العرب يوم بارد وليل نائم ونهار
صائم ومنه قول جرير ونمت وما ليل المطي بنائم وفي الكتاب فذلك يومئذ يوم عسير فيأخذكم عذاب يوم عظيم وكذلك يوم عصيب وقمطرير ونحو ذلك كل ذلك صفة ٢ شكل
لما يحصل في تلك الازمان وكذلك ليلة القدر بكونها خير من الف شهر انما هو وصف للعمل الواقع فيها فان قيل قد نقل بعض الناس الاجماع على ان قبره صلى الله عليه
وسلم افضل من بقاع الارض قلنا ان صح ما نقل فالجواب انه ما يترتب على قبره من البر مختص به غير متعد الى مسجده ولا يلزم من ذلك ان يكون مسجده افضل فان
قيل سكناه وقبره الموطن سكناه في الارض قلنا هذا مختص بقبره دون مسجده انتهى كلام الشيخ عز الدين وخبر الطبراني المدينة خير من مكة ضعيف بل
منكر كما قاله الذهبي وخبر الصحيحين اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة لا يدل على الافضلية اذ هو مجمل فسره الحديث الاخر اللهم بارك لنا في صاعنا
ومدنا فالمراد البركة الدنيوية فلا يقال ان المقتضي لاطلاق البركة ان يكون ثواب صلاة المدينة ضعفي الصلاة بمكة والمراد عموم البركة لكن خصت الصلاة
ونحوها بدليل خارجي ولا يلزم من حصول افضلية المفضول في شيء من الاشيا ثبوت الافضلية على الاطلاق كخبر اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا اعادها
ثلاثا وكخبر اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اما على الاولى فظاهر لما مر واما على الثانية فلانه بعد وجود المانع من سكنى مكة فيكون تسلية
لقلوب اصحابه ليلا يبغضوها وقوله لقد عرفت انك احب البلاد الى الله واكرمها على الله الذي صريح في افضلية مكة وممن انتصر للاول الامام ابن عبد البر من اكابر
المالكية وشنع في الرد على مخالفه متمسكا بما روي ان مكة احب البلاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدينة احب البلاد الى الله بانه لم يلهم بقدره وزعم بعض
شراح الحاوي ان مكة انما كانت افضل حين كان صلى الله عليه وسلم بها فحين صار بالمدينة حيا وميتا صارت افضل منها واستدل ابن المنصور لما قدم اهل مكة
على اهل المدينة قال له جعفر لم هذا وقطار منا اهل الخير وبقي اهل الشر ولا دليل له في هذا على ما انتحله بل كاد ان يخرق به الاجماع في احاديث التفضيل
التي اشرنا اليها مما يرد عليه لانه انما صار عنده صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة واختار كثيرون الوقف على التفضيل بينهما ومحل الخلاف فيما عدا
الكعبة فهي افضل من المدينة اتفاقا وشمل ذلك ما منها من الحجر بكسر الحا وما ضم اعضا النبي صلى الله عليه وسلم افضل منها اي من مكة ومن الكعبة اجماعا
كما قاله ابن عساكر والقاضي عياض وغيرهما ونظم بعضهم ذلك فقال جزم الجميع بان خير الارض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكا ماواها بل وافضل من العرش والكرسي كما قاله جمع قال الفاكهاني والذي اعتقده لو ان
ذلك لو عرض على علما الامة لم يختلفوا فيه وقد جا ان السموات شرفت بمواطي قدميه انتهى وهو ظاهر جلي لان من فتن كل انسان من تربته التي خلق منها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1